

تفسير ابن كثير

يخبر تعالى أنه لما أنذر إبليس { إلى يوم يبعثون } واستوثق إبليس بذلك أخذ في المعاندة والتمرد فقال { فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم } أي كما أغويتني قال ابن عباس : كما أضللتني وقال غيره : كما أهلكتني لأقعدن لعبادك الذين تخلقهم من ذرية هذا الذي أبعدتني بسببه على { صراطك المستقيم } أي طريق الحق وسبيل النجاة لأضلنهم عنها لئلا يعبدوك ولا يوحدوك بسبب إضلالك إياي وقال بعض النحاة : الباء هنا قسمية كأنه يقول فبإغوائك إياي لأقعدن لهم صراطك المستقيم قال مجاهد : صراطك المستقيم يعني الحق وقال محمد بن سوقة عن عون بن عبد الله : يعني طريق مكة قال ابن جرير : الصحيح أن الصراط المستقيم أعم من ذلك (قلت) لما روى الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا أبو عقيل يعني الثقفي عبد الله بن عقيل حدثنا موسى بن المسيب أخبرني سالم بن أبي الجعد عن سبرة بن أبي الفاكه قال : [سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الشيطان قعد لابن آدم بطرقه فقعد له بطريق الإسلام فقال : أتسلم وتذر دينك ودين آبائك قال فعصاه وأسلم] قال [قعد له بطريق الهجرة فقال : أتهاجر وتدع أرضك وسماؤك وإنما مثل المهاجر كالفرس في الطول فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد وهو جهاد النفس والمال فقال تقاتل فتقتل فتنكح المرأة ويقسم المال قال فعصاه وجاهد] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك منهم فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن قتل كان حقا على الله أن يدخله الجنة وإن غرق كان حقا على الله أن يدخله الجنة أو وقصته دابة كان حقا على الله أن يدخله الجنة [وقوله { ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم } الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس { ثم لآتينهم من بين أيديهم } أشككهم في آخرتهم { ومن خلفهم } أرغبهم في دنياهم { وعن أيما نهم } أشبه عليهم أمر دينهم { وعن شمائلهم } أشهي لهم المعاصي وقال ابن أبي طلحة في رواية العوفي كلاهما عن ابن عباس : أما من بين أيديهم فمن قبل دنياهم وأما من خلفهم فأمر آخرتهم وأما عن أيما نهم فمن قبل حسناتهم وأما عن شمائلهم فمن قبل سيئاتهم وقال سعيد بن أبي عروبة : عن قتادة أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من أمر الدنيا فزينها لهم ودعاهم إليها وعن أيما نهم من قبل حسناتهم بطأهم عنها وعن شمائلهم زين لهم السيئات والمعاصي ودعاهم إليها وأمرهم بها أتاك يا بن آدم من كل وجه غير أنه لم يأتك من فوق لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله وكذا روي عن إبراهيم النخعي والحكم بن عتيبة والسدي وابن جريح إلا أنهم قالوا : من بين أيديهم الدنيا ومن خلفهم الآخرة .

وقال مجاهد : من بين أيديهم وعن أيما نهم من حيث يبصرون ومن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا يبصرون واختار ابن جرير : أن المراد جميع طرق الخير والشر فالخير يصددهم عنه والشر يحسنه لهم وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس في قوله { ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيما نهم وعن شمائلهم } ولم يقل من فوقهم لأن الرحمة تنزل من فوقهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس { ولا تجد أكثرهم شاكرين } قال : موحدين وقول إبليس هذا إنما هو وطن منه وتوهم وقد وافق في هذا الواقع كما قال تعالى : { ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين * وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وريك على كل شيء حفيظ } ولهذا ورد في الحديث الاستعاذة من تسلط الشيطان على الإنسان من جهاته كلها كما قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده : حدثنا نصر بن علي حدثنا عمرو بن مجمع عن يونس بن خباب عن ابن جبير بن مطعم يعني نافع بن جبير عن ابن عباس وحدثنا عمر بن الخطاب يعني السجستاني حدثنا عبيد الله بن جعفر حدثنا عبد الله بن عمرو عن زيد بن أبي أنيسة عن يونس بن خباب عن ابن جبير بن مطعم عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو [اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك اللهم أن أغتال من تحتي] تفرد به البزار وحسنه . وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع حدثنا عبادة بن مسلم الفزاري حدثني جرير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم سمعت عبد الله بن عمر يقول : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الدعوات حين يصبح وحين يمسي [اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي قال وكيع : من تحتي يعني الخسف ورواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث عبادة بن مسلم به وقال الحاكم : صحيح الإسناد